تذكرنا بأن الحسنات يذهبن السيئات وأن لذة الحياة في الطاعات لا بالمعاصي

العشر الأواخر.. الفضل والفضائل

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،،،

فها قد جاءت العشر الأواخر من شهر رمضان لتذكرنا ببعض الأمور والتي منها: قول الله عز وجل: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ (140: آل عمران)، ويقوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (185: آل عمران)، وبقوله جل جلاله: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27: الرحمن)، بالأمس القريب كنا ننتظر شهر رمضان وها نحن في العشر الأواخر منه فهل من متعظ ومدكر؟

قال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم انما أنت أيام اذا ذهب يوم ذهب بعضك!

وأخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه والدنيا فقال: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وجاءت العشر لتذكرنا بالاحسان، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» رواه مسلم.

غدا توفى النفوس ما كسبت
ويحصد الزارعون ما زرعوا
ان أحسنوا أحسنوا لأنفسهم
وان أساءوا فبئس ما صنعوا

الاحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» رواه البخاري. هكذا عرفه صلى الله عليه وسلم.

فعليك بمراقبة الله في السر والعلن وفي القول والعمل وفعل الخيرات على أكمل وجه وابتغاء مرضاة الله عز وجل، ومن احسانك لنفسك أن تبعدها عن الحرام، ولا تفعل الا ما يرضي الله، وبذلك تطهّر نفسك وتزكيها، وتريحها من الضلال والحيرة في الدنيا، ومن الشقاء والعذاب في الآخرة، قال تعالى: «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» (7: الأسراء).

وجاءت العشر لتذكرنا بأن الحسنات يذهبن السيئات «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114)» هود، ويقول عز وجل: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا» (31: النساء).

ويقول صلى الله عليه وسلم: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ويقول صلى الله عليه وسلم: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» رواه مسلم.

فجاءت العشر لتقول لك يا عبد الله اتق الله والتزم بطاعته وابتعد عن معصيته يكفر عنك ما فات.

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

فالحياة في الطاعة ألذ من الحياة في المعصية «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» (122: الأنعام). قال جعفر بن محمد رحمه الله: من نقله الله من ذل المعصية الى عز الطاعة أغناه بلا مال وآنسه بلا أنس وأعزه بلا عشيرة.

هذا الدليل لمن أراد
غنى يدوم بغير مال
وأراد عزا لم توط
ده العشائر بالقتال
ومهابة من غير سل
طان وجاها في الرجال
فليعتصم بدخوله
في عز طاعة ذي الجلال
وخروجه من ذلة الـ
معاص له في كل حال

وجاءت العشر لتذكرنا بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيها قالت عَائِشَةَ رضي لله عنها: كَانَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم اذا دخل الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ. رواه البخاري.

وهذا دليل على اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العبادة واعتزاله للنساء ودعوته لأهله لعبادة الله تعالى متمثلا قول الله عزوجل: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى» (132: طه).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ» رواه البخاري.

أي كاسية بنعم الله عز وجل في الدنيا عارية من شكره والايمان به فهي عارية يوم القيامة من رحمته والعياذ بالله.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. رواه البخاري.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رواه مسلم.

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه يتحرى ليلة القدر ويقول: « فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ ». رواه البخاري.

أي أنها تكون في الوتر من العشر الأواخر فيا سعادة من نال بركتها وحظي بخيرها فالمحروم من حرم خيرها قال صلى الله عليه وسلم في فضائل شهر رمضان: «فِيهِ لَيْلَةٌ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ ». مسند أحمد 134/12 وصحح اسناده أحمد شاكر.

ويستحب الاكثار من الدعاء فيها قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ «قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقد تكون في ليلة السابع والعشرين وقد تكون في غيرها من ليالي الوتر من العشر الأواخر فاحرص على كل الليالي يا عبد الله ولا تكن ممن يأتي فقط في ليلة سبع وعشرين ويترك باقي الليالي!

قال ابن رجب رحمه الله: العفو من أسماء الله تعالى، وهو يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يُحبُ العفو ؛ فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فاذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب اليه من عقوبته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ». رواه مسلم.

قال يحيى بن معاذ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء اليه لم يبتل بالذنب أكرم الناس عليه... وانما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحا ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون الى سؤال العفو كحال المذنب المقصر. لطائف المعارف ص230–231.

عن عَبْدَاللَّهِ بْنَ بُسْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا». رَوَاهُ ابن مَاجة، قَالَ الشوكاني في تحفة الذاكرين: اسناد ابن ماجه صحيح.

فأكثر من طلب العفو والاستغفار يا عبد الله نسأله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ووحدانيته أن يعفو عنا وأن يغفر لنا خطايانا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فيا ترى كيف نستقبل العشر الاواخر؟

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص هذه العشر الأواخر بعدة أعمال.

ففي الصحيحين من حديث عائشة: «كان رسول الله اذا دخلت العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله» ولفظ لمسلم: «أحيا ليله وأيقظ أهله» ولها عند مسلم: «كان رسول الله يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها».

ولها في الصحيحين: «أن النبي كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «نهى رسول الله عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين: انك تواصل يا رسول الله؟

قال: وأيكم مثلي اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني».

فمن هذه الأحاديث نرى أن النبي كان يجتهد بالأعمال التالية:

1 – أيقاظ أهله: وما ذاك الا شفقة ورحمة بهم حتى لا يفوتهم هذا الخير في هذه الليالي العشر.

2 – احياء الليل: فانه اذا كان رمضان كان يقوم وينام، حتى اذا ما دخلت العشر الأواخر أحيا الليل كله أو جله، فقد أخرج أصحاب السنن باسناد صحيح من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «صمنا مع رسول الله في رمضان فلم يقم بنا شيئا منه حتى بقي سبع ليال، فقام بنا السابعة حتى مضى نحو من ثلث الليل، ثم كانت التي تليها... حتى كانت الثالثة فجمع أهله واجتمع الناس فقام حتى خشينا الفلاح. فقلت: وما الفلاح؟ قال: السحور».

3 – شد المئزر: والمراد به اعتزال النساء كما فسره سفيان الثوري وغيره.

4 – الاعتكاف: وهو لزوم المسجد للعبادة وتفريغ القلب للتفكر والاعتبار.

5 – الوصال: وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يأكل شيئا أبدا لمدة أيام وهذا من خصائصه.

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله واصل في رمضان فواصل الناس فنهاهم، فقيل: انك تواصل، فقال: «انـي لست مثلكم اني أُطعم وأُسقى»، ولهما من حديث أبي هريرة «وأيكم مثلي، اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني» وعند مسلم من حديث أنس «أن النبي نهاهم عن الوصال فأبوا أن ينتهوا، واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال: «لو تأخر لزدتكم» كالمنكل لهم. وفي لفظ عند مسلم «لو مد الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم..»

فمن هذه الأحاديث نعلم أن الرسول كان يواصل الصيام في العشر الأواخر بدليل أنهم رأوا الهلال وهذا لا يكون الا في آخر الشهر. وأيضا شدة حرص الصحابة على الاقتداء به. وأيضا أن المراد بالاطعام والسقاء ليس هو طعاما